Buḥūth Online
مجلة محكمة تصدر إلكترونيا

وحدة النشر العلمي

بحوث

مجلة علمية محكمة

اللغات وآدابها

العدد 11 نوفمبر 2021 – الجزء 3

ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

رئيس التحرير
أ.د/ أميرة أحمد يوسف
أستاذ النحو والصرف-قسم اللغة العربية
عميد كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس

نائب رئيس التحرير
أ.د/ حنان محمد الشاعر
أستاذ تكنولوجيا التعليم-قسم تكنولوجيا التعليم والمعلومات
وكيل كلية البنات للدراسات العليا والبحوث
جامعة عين شمس

مدير التحرير
د. سارة محمد أمين إسماعيل
مدرس تكنولوجيا التعليم
كلية البنات جامعة عين شمس

سكرتارية التحرير:
م/ هبه ممدوح مختار محمد
معيدة بقسم الفلسفة
مسئول الموقع الالكتروني:
م.م/ نجوى عزام أحمد فهمي
مدرس مساعد تكنولوجيا التعليم
مسئول التنسيق:
م/ دعاء فرج غريب عبد الباقي
معيدة تكنولوجيا التعليم

مجلة "بحوث" دورية علمية محكمة، تصدر عن كلية البنات للآداب والعلوم والتربية بجامعة عين شمس حيث تعنى بنشر الإنتاج العلمي المتميز للباحثين.

مجالات النشر: اللغات وآدابها (اللغة العربية – اللغة الإنجليزية – اللغة الفرنسية-اللغة الألمانية-اللغات الشرقية) العلوم الاجتماعية والإنسانية (علم الاجتماع – علم النفس – الفلسفة – التاريخ – الجغرافيا).
العلوم التربوية (أصول التربية – المناهج وطرق التدريس-علم النفس التعليمي – تكنولوجيا التعليم –تربية الطفل)

التواصل عبر الإيميل الرسمي للمجلة:
buhuth.journals@women.asu.edu.eg

يتم استقبال الأبحاث الجديدة عبر الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://buhuth.journals.ekb.eg/

- حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات التربوية.
- حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات الأدبية.

تم فهرسة المجلة وتصنيفها في:
دار المنظومة– شمعة

قضايا الثورة فى ديوان (اللهب المقدس) لمفدى زكرياء, دراسة فى المضمون

إيمان أحمد عثمان أبورية
باحثة ماجيستير- قسم اللغة العربية
كلية الألسن، جامعة عين شمس، مصر
emanahmed789.ea@gmail.com

أ.د عاطف السيد بهجات
أستاذ النقد الأدبى الحديث- قسم اللغة العربية
كلية الألسن، جامعة عين شمس، مصر
aa_bahajat@hotmail.com

د سهام على سعودى
مدرس اللغويات- قسم اللغة العربية
كلية الألسن، جامعة عين شمس، مصر

المستخلص:

ناقش مفدى زكرياء فى ديوانه (اللهب المقدس) عددًا من القضايا الثورية المهمة مثل: الدعوة إلى الالتحاق بركب الثورة, و ذِكر تضحيات الجزائريين, و تقديمهم لأرواحهم فداء للوطن عن طيب خاطر, و قد دعا الشاعر فى ديوانه إلى استخدام القوة المسلحة ضد المحتل الذى لايفهم لغة الكلام, ولايسمع إلا صوت الرشاش والمدافع, كما بين مفدى زكرياء أن إرادة الإنسان تستطيع تغيير الأقدار, وأن الشعوب إذا صدقت عزيمتها استطاعت التحرر والنجاة من سيطرة جلاديها, ويرى زكرياء أن الوحدة سلاح قوى وفعال فى ردع المحتل, وأن التفرق ضعف وانهزام, وهى سياسة خبيثة لطالما اتبعها المحتل لإحكام نفوذه وسيطرته على البلاد, وهو بالإضافة إلى ذلك يدعو إلى الوحدة بين أبناء العرب جميعًا بشكل عام, وأبناء الجزائر بصورة خاصة, و يشجع الشاعر على الاهتمام بالعلم ومحاربة الجهل والقضاء عليه؛ فمحو الجهل هو أولى خطوات التحرر.

الكلمات الدالة : الثورة،الجزائر، الأفكار، ديوان، زكرياء.

مقدمة

ألهبت الثورة الجزائرية النيران فى نفوس الشعراء فمضوا يتغنون بها فى أشعارهم, ويخلدون لحظات النضال والكفاح, كفاح شعب أجبر بصموده العالم على الإصغاء, وسطر بدمائه أروع مثال للتضحية و الفداء, وقد عرفت الجزائر ببلد المليون شهيد لعظم التضحيات التى قدمها الجزائريون وتفضيلهم الموت على حياة الذل والهوان.

وقد اخترت دراسة هذا الموضوع لأنه ذو صلة برسالة الماجستير الخاصة بى بعنوان (قصائد فى جميلة بوحيرد, الرؤية والتشكيل, دراسة أسلوبية بنائية), وأتحدث فيه عن القصائد التى قالها الشعراء العرب فى جميلة بوحيرد, وهى رمز من رموز الثورة الجزائرية وبطلة من أبطالها, وقد رأيت أنه بدراستى لهذا الموضوع " قضايا الثورة فى ديوان اللهب المقدس لمفدى زكرياء, دراسة فى المضمون" سوف أثرى معرفتى بالثورة الجزائرية, وكيف تناولها أديب جزائرى, فمما لا شك فيه أن للثورة الجزائرية تأثيرًا كبيرًا على شعراء الجزائر بشكل خاص لأنهم يحكون عن معاناتهم وآلامهم وطموحاتهم باعتبارهم جزء من وطن قابع تحت سطوة الاحتلال, وكل ذلك يوسع مداركى ويساعدنى فى رسالتى.

وقد عرف مفدى زكرياء بشاعر الثورة الجزائرية, وله العديد من الكتب عن الثورة الجزائرية من أهمها ديوان " اللهب المقدس" وهو موضوع دراستى, وكتاب " إلياذة الجزائر", ويحكى فيها الشاعر عن تاريخ الشعب الجزائرى.

وقد اخترت فى دراستى أن أدرس المضمون الثورى فى القصائد, أى أهم الأفكار والقضايا الثورية التى يطرحها الشاعر فى ديوانه, وقد صرح الشاعر فى بداية الديوان أنه لم يهتم بالصنعة قدر اهتمامه بالتعبئة الثورية, ولذلك اخترت التركيز على المضمون فى هذه الدراسة.

وينقسم البحث إلى :

- مقدمة, وبها موضوع البحث, وسبب اختياره, والمنهج المتبع فيه, وأهم المراجع التى استعنت بها فى البحث.
- تمهيد, وبه الجانب النظرى, وتحدثت فيه عن قيام الثورة الجزائرية, وكيف حاول المحتل طمس هوية الجزائر و إلحاقها بفرنسا, ثم تحدثت عن شعر الثورة الجزائرية, وبعض الكتب التى تناولتها.
- الجانب التطبيقى, وناقشت فيه أهم القضايا الثورية التى تناولها الشاعر فى ديوانه وهى:

أولًا: تمجيد ثورة الجزائريين وتضحياتهم.

ثانيًا: الدعوة إلى الثورة المسلحة وأن ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة.

ثالثًا: إرادة الشعب تسوق القدر, استجابة القدر لإرادة الشعب.

رابعًا: الدعوة إلى التوحد ونبذ الفرقة والانقسام .

خامسًا: الدعوة إلى الاهتمام بالعلم لأنه طريق النصر والحرية.

ومن المراجع التى استعنت بها فى بحثى:

- تحت ظلال الزيتون لمفدى زكرياء.
- الثورة الجزائرية فى الشعر العراقى لعثمان سعدى .
- اللهب المقدس لمفدى زكرياء.

تمهيد : عن الثورة الجزائرية

اندلعت الثورة الجزائرية فى الأول من نوفمبر عام 1954 بعد استعمار طويل دام مائة وثلاثين سنة (منذ عام 1830), فقد قام المناضلون بعدد من العمليات العسكرية منها تنفيذ بعض عمليات الإعدام للخونة, ونصب عدد من الكمائن لقوات العدو من جيش وشرطة و درك, والهجوم على ثكنات العدو وبعض إداراته, وتم الإعلان عن قيام الثورة تزامنًا مع هذه العمليات, وولدت جبهة التحرير الوطنى التى كانت رمزًا للنضال والثورة المسلحة فى الجزائر, وأعلنت عن أهداف الثورة المتمثلة فى عودة السيادة الوطنية وتحقيق استقلال الجزائر, وتوحيد الشعب وراء جبهة التحرير, والتعريف بالقضية الجزائرية فى الخارج, مع استخدام كل الطرق السياسية والعسكرية لتحقيق هذه الأهداف (إحدادان زهير, 2007, 12,13) وقد كان متوقعًا أن تواجه الثورة الجزائرية صعوبات كثيرة فى ظل مستعمر غاشم كان ينوى البقاء فى الجزائر إلى الأبد, فقد عدَّ المحتل الجزائر قطعة من فرنسا, فكانت جغرافيًا فى نظر القانون الفرنسي والدولى تابعة لفرنسا, وكانت عبارة عن ثلاث ولايات تتبع الخريطة الإدارية الفرنسية, وتحكم بواسطة ثلاثة محافظين.(سعدى, د.ت, ص 9)

وقد أمعنت فرنسا فى إذلال الشعب الجزائرى و إهانته فقد حاربت الدين والعقيدة, وحولت المساجد إلى كنائس فى محاولة منها للقضاء على التعليم الدينى(مؤيد, د.ت, ص 4), كما حاولت فرنسا أن تقضى على الهوية العربية للجزائر, فجعلت الفرنسية هى اللغة الرسمية فى البلاد, وكانت لغة التعليم فى الجزائر, وحرَّموا تعلم اللغة العربية حتى إنهم اعتبروا كل جزائرى يتعلم اللغة العربية أو يعلمها مشبوهًا ويخضع لرقابة الشرطة السرية. (سعدى, د.ت, ص 11)

كما وسع الاحتلال الفرنسي دائرة الأمية بين الجزائريين, وهى سياسة خبيثة لطالما اتبعها المحتلون مع الشعوب حتى لايشقون طريقهم إلى النور أو يدافعون عن أوطانهم (شرف, 1991, ص 51).

وهكذا يمكننا القول إن المشروع الذى تنطوى عليه طبيعة الاستعمار " كان من أهم أهدافه القضاء على المجتمعات الوطنية الأصيلة و تجريدها من ثقافتها تجريدًا منهجيًا" حتى تستطيع أن تصبغها بصبغتها الخاصة فتندمج معها وتستظل بظلها(شرف, 1991, ص 51), والحق أن فرنسا لاتمتلك أى دليل على ملكيتها للجزائر سوى وجودها بجيشها وجندها وأسلحتها فيها, ولو كان الأمر كذلك لاعتبرنا فرنسا إذًا ألمانية لاحتلال ألمانيا لها فى وقت من الأوقات, كما تقع فرنسا فى قارة و الجزائر فى قارة أخرى ويفصل بينهما بحر عظيم, وهو البحر المتوسط, فكيف تكون الجزائر فرنسية؟! (الورتلانى, 2009, ص 64,62).

كذلك بذلت فرنسا جهودًا كبيرة لعزل الثورة الجزائرية عن حلفائها فى تونس و المغرب, فحاولت التواصل مع زعمائهما لوقف الثورة فى هذين القطرين حتى تستفرد بالجزائر, فهى تعلم جيدًا قوة الشخصية الجزائرية وصلابة عودها, وذلك طول فترة نضالها مع المستعمر, وقد نجحت فى ذلك

واستجاب زعماء تونس والمغرب لوقف الثورة فى هذين القطرين غير مكترثين للقرار الذى وقعوه مع زعماء الجزائر بإنشاء جيش لتحرير المغرب العربي, والتمسك بعدم وقف القتال حتى تنال الأقطار الثلاثة استقلالها كاملًا(سعدى, د.ت, ص 11).

شعر الثورة الجزائرية

كان للثورة الجزائرية وقع كبير فى نفوس الشعراء ليس فى الجزائر فقط وإنما فى الوطن العربي كله, فمضوا يمجدونها ويحتفون بها, ومن الشعراء الجزائريين الذى كتبوا أشعارًا فى الثورة الجزائرية مفدى زكرياء, و أبو القاسم سعد الله, و أبو القاسم خمار, و صالح خرفى ..إلخ

ومن الكتب التى تناولت شعر الثورة الجزائرية:

1- الثورة الجزائرية فى الشعر السودانى لعثمان سعدى.
2- الثورة الجزائرية فى الشعر السورى, لعثمان سعدى.
3- الثورة الجزائرية فى الشعر العراقى, لعثمان سعدى.
4- الثورة الجزائرية فى الشعر المصرى المعاصرلأحسن مزدور
5- الثورة الجزائرية فى شعر المغرب العربي (1954-1962) لمصطفى بيطام .
6- موسوعة الثورة الجزائرية لنوار الحوار وحسن شمص.

ومن الشعراء الذين عايشوا ثورة الفاتح من نوفمبر محمد آل خليفة, وصالح خرفى ومحمد بلقاسم خمار ومفدى زكريا وغيرهم, وقد تابع هؤلاء نظم قصائدهم عن ثورة نوفمبر الجليلة حتى بعد الحصول على الاستقلال (شاكور, 2018, ص5).

التعريف بالشاعر مفدى زكرياء (1908, 1977)

هو الشيخ زكرياء بن سليمان, لقبه زميل البعثة الميزابيَة والدراسة بو جناح ب "مفدى", فصار لقبه الأدبي واشتهر به (زكرياء, 2003, ص1).

ولد مفدى زكرياء ببنى يزقن بواحات الجزائر عام 1908, وقد رحل إلى تونس وتلقى بها علومه فى مختلف مدارسها ومعاهدها, آمن مفدى زكريا بوحدة بلاد المغرب العربي, وظل ينادى بذلك فى قصائده وفى الندوات الأدبية و مؤتمرات الطلبة و الاجتماعات السياسية من عام 1908 وهو فى مقتبل شبابه حتى وفاته, وله مساهمة فعالة فى النشاط السياسي والأدبي بالجزائر؛ فكان أول أمين بحزب نجمة شمال أفريقيا عام 1935, دخل مفدى زكرياء السجن خمس مرات حيث كان من أنشط مناضلى جبهة التحرير الجزائرية , وقد نظم العديد من قصائده فى سجن بربروس(زكرياء, 2007, ص7).

لمفدى زكرياء العديد من الأناشيد الثورية والوطنية, فهو صاحب النشيد الوطنى الجزائري " قسمًا", ونشيد "جيش التحرير", ونشيد " فداء الجزائر", ونشيد " العمال", ونشيد " الطلاب "..إلخ (زكرياء, 2007, ص7), وقد ذكر معظمها فى ديوانه اللهب المقدس تحت عنوان " تسابيح الخلود".(زكرياء, 2007, ص59)

اشترك زكرياء فى تأسيس حزب الشعب وكان من أبرز دعاته شاعرًا و خطيبًا (العروسى, 2009, ص112).

زار مفدى زكرياء العديد من البلدان العربية وقابل عددًا من أدبائها ومثقفيها, فزار القاهرة وتعرف على كبار الأدباء المصريين مثل طه حسين والعقاد وصالح جودت, وزار تونس ولبنان ودمشق, وصرح فى ديوانه اللهب المقدس بأنه سيزور بعد طباعة ديوانه الأردن وبغداد وقطر والخليج والكويت وليبيا. (زكرياء, 2007, ص294,293, 295).

عبر مفدى زكرياء فى أشعاره عن كونه شاعرًا للثورة الجزائرية, ومن ذلك قوله فى قصيدة (فلسطين على الصليب) متحدثًا عن الجزائر:

"غدوت, لثورتها, شاعرًا من النار والنور ألحانيه "(زكرياء, 2007, ص287).

فمفدى زكرياء يعلن بنفسه أنه شاعر للثورة يكتب بألحانه تاريخها, ويمجد كفاح شعبها, ويحمسه للانضمام لركب الثورة .

وكذلك قوله فى قصيدته " لا تعجبوا إن جاءكم برسالة " عن الجزائر :

"غنى بثورتها الرهيبة, شاعر ويشد يخلد فى العصور قتالها

واشتق من نبضاتها أوزانه واختار من لون الدماء, جمالها

صهرته آلام الجزائر فانبرى يختط من آلامه أشكالها "(زكرياء, 2007, ص114)

وقد اشتق الشاعر من قلب الثورة النابض أشعاره, فمضى يخلد تاريخ الجزائر, ويحكى كفاحها وصمودها, ويعبر عن آلامها وأحزانها و تضحيات أبنائها.

دواوين مفدى زكرياء

لمفدى زكريا العديد من الدواوين المطبوعة هى (هيئة المعجم فى مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى, 2008, ص 476):

1- اللهب المقدس, بيروت (1961) .
2- تحت ظلال الزيتون, تونس (1965).
3- إلياذة الجزائر, الجزائر (1973).
4- من وحى الأطلس, المغرب(1976).

وللشاعر دواوين أعلن عنها ولم تصدر, وهى(عيسى و موسى, 2007, ص252) :

- أهازيج الزحف المقدس.
- انطلاقة.
- الخافق المعذب.
- محاولات الطفولة.

يعد ديوان (اللهب المقدس)- الذى اخترته ليكون موضوعًا لهذا البحث- ديوانًا للثورة الجزائرية فهو يصور بطولات الشعب الجزائرى وواقعه وأمجاده, وقد شبهه الشاعر بالشاشة التلفزيونية التى تصور استجابة القدر لإرادة الشعب, ويقصد باللهب المقدس لهب الثورة الذى انطلق من بنادق

الجزائريين فى أول نوفمبر عام ألف وتسعمائه وستة وخمسين ليعلن عن إرادة شعب فى تحقيق خلاصه, والجدير بالذكر أن الشاعر قد ذكر فى ديوانه أنه لم يهتم بالفن أو الصنعة بقدر اهتمامه بالتعبئة الثورية, فقد أراد لديوانه أن يكون تعبيره عن الثورة تعبيرًا شعوريًا صادقًا دون أدنى تكلف " فهو يرى أن الشعر إلهام لافن, وعفوية لا صناعة " (زكرياء, 2007, ص5, 7).

وقد عرف عن مفدى زكرياء أنه كان كثيرًا ما يرتجل الشعر تأثرًا بالموقف أو المناسبة, فقد كان ذو حس مرهف, وكان ممن يتأثرون بالمواقف والأزمات التى يمر بها العرب (طيبى, 2017, ص52).

يشير العنوان فى ديوان (اللهب المقدس) إلى قداسة الثورة الجزائرية, وقداسة النضال والكفاح الذى يخوضه الجزائريون ضد المحتل, فاللهب هو ثورة الجزائريين بكل أهوالها, وهو كفاح الشعب الحر لنيل حريته واستقلاله ولاسترداد كرمته, والتى دفع من أجلها الجزائريون من أرواحهم ثمنًا باهظًا, والقداسة هى تطهير هذه الأرض المقدسة من دنس المحتل ورجسه (العايب, 2014, ص81,80).

يتضمن الديوان عددًا من القضايا والأفكار الثورية المهمة, وفى البداية أود أن أشير إلى أن مفدى زكريا قد استهل ديوانه بقصيدة وجهها إلى ابنه سليمان بعنوان " هكذا يفعل أبناء الجزائر" فيقول ناصحًا ابنه:

" أى بنى...

هكذا يفعل أبناء الجزائر

سر إلى الميدان مأمون الخطى وتطوع فى صفوف الجيش ثائر

أنت جندى بساحات الفدآ وأنا فى ثورة التحرير شاعر" (زكرياء, 2007, ص13)

ويتضح من تلك القصيدة أن الشاعر قد بدأ التعبئة الثورية مبكرًا فى الديوان, وقد استخدم الشاعر جملة (هكذا يفعل أبناء الجزائر) حتى يحمس كل الآباء لتشجيع أبنائهم على الالتحاق بركب الثورة وتلبية داعى الوطن, فقد جعل ابنه جنديًا ثائرًا فى أرض المعركة, وجعل نفسه شاعرًا يدعو للتحرر, واستخدام الضميرين (أنت) و(أنا) يفيد المشاركة, فكل يخدم بلاده بطريقته الخاصة, وقد استخد الشاعر أفعال الأمر مثل (سر) و (تطوع) للحض والحث على الجهاد والثورة.

وقد كان مفدى زكريا يشجع ابنه سليمان على الثورة ويقول له " لست أريد من تعليمك أن تصبح كاتبًا فى خزانة, أو آلة تسجل فى مكتبة, أو إنسانًا ميكانيكيًا, فاقد الإرادة, ميت الشعور, سقيم الإدراك, بل أريدك أن تكون روحًا من لهب, وفكرًا من علم وأدب, ومفخرة من مفاخر العرب" .(زكرياء, 2007, ص10).

أولًا: تمجيد ثورة الجزائريين وتضحياتهم

كانت الثورة الجزائرية هى الأمل الذى لاح أمام الجزائريين لاستعادة وطنهم المسلوب, فمضوا يحتفون بها ويمجدونها فى أشعارهم, ومن ذلك قول الشاعر فى قصيدة (الذبيح الصاعد) معليًا من شأن الثورة الجزائرية متفاخرًا بها :

" ثورة تملأ العوالم رعبًا وجهاد يذرو الطغاة حصيدا
كم أتينا من الخوارق فيها وبهرنا بالمعجزات الوجودا
واندفعنا مثل الكواسر نرتا د المنايا ونلتقى البارودا
من جبال رهيبة شامخات قد رفعنا على ذراها البنودا " (زكرياء, 2007, ص19)

يذكر الشاعر فى الأبيات السابقة كيف كانت الثورة كالوحش الكاسر الذى يكشر عن أنيابه فيمتلئ العالم خوفًا ورعبًا, ويبين لنا كيف صنع الجزائريون المعجزات التى بهرت العالم, فقد وقف ذلك الشعب متحديًا فرنسا والأمم المتحدة, منطلقًا بكل شجاعة وجرأة يستقبل الموت والبارود بصدر رحب, وقد استخدم الشاعر لفظة (كواسر) للدلالة على القوة والإقدام, كما تتناسب هذه اللفظة مع الطبيعة الجغرافية للجزائر التى يغلب عليها الطابع الجبلى والصحراوى (الهادى, د.ت, ص13) فالكَاسِرُ هو العُقابُ (الفيروزآبادى, 2008, ص1415), ويذكر الشاعر مفدى زكرياء فى البيتين الأخيرين أنه لافرق بين الإنسان و الجبال فكلاهما يعلن عن رفضه ومقاومته لكل أشكال التسلط والهيمنة على الذات الجزائرية (جغدم, 2019, ص34)

وكذلك قول الشاعر فى قصيدته (وقال الله) التى نظمها فى الذكرى الثالثة لثورة الجزائر:

" جهاد دوخ الدنيا وألقى هنالك فى سياستها اضطرابا
وزلزل من صياصيها فرنسا وأوقع فى حكومتها انقلابا
وحرب للكرامة فى بلادى مضت تَفْتَكُّ عزتها غلابا
وأوفدت الرصاص ينوب عنها يناقش غاصب الحق الحسابا"(زكرياء, 2007, ص34)

يوضح الشاعر فى الأبيات السابقة كيف أحدثت ثورة الجزائريين انقلابًا فى الأجواء, ولم تستطع فرنسا ولا الأمم المتحدة السيطرة عليها, فقد ألقت فى قلب فرنسا الرعب وأحدثت الفوضى والارتباك فى حكومتها, كما استطاعت حرب الكرامة والعزة أن تنتزع حقوقها بالقوة, فجعلت الرشاش سلاحها, ووكلت الرصاص لينوب عنها فكان كالقاضى الذى يحاسب المحتل على جرائمه, واستخدام التركيب الإضافى (حرب للكرامة) يدل على أن الشعب الجزائرى شعب حر لا يقبل الذل والإهانة حتى إنه يقيم حربًا ضروسًا لاسترداد حريته وكرامته .

وقد خلد التاريخ بطولات الجزائريين الأسطورية وتضحياتهم, و يبين الشاعر ذلك فيقول فى قصيدته (زنزانة العذاب):

" والشعب يسبح للعلا على دمه وللتبرع بالأرواح يستبق

لم يثنه دون إدراك المنى رهق إن هم أحرقوا بالنار أو شنقوا"(زكرياء, 2007, ص29)

فالشعب الجزائرى الحر لا يخشى الموت أو يهابه بل يتسابق كل جزائرى حر مع أقرانه لنيل هذا الشرف, وقد صور الشاعر دماء الثوار بالبحر الذى يتبارى الشعب فى قطعه, فهم يتنافسون من أجل إدراك غايتهم النبيلة غير مهتمين بحرق أو بشنق.

و يخاطب الشاعر مفدى زكرياء جبهة التحرير الجزائرية, وهى رمز الثورة المسلحة فيقول فى قصيدته (وتعطلت لغة الكلام):

" يا (جبهة التحرير) أنت رجاؤنا وعلى يديك إلى المصير زمام

شقى طريق الخالدين وسطرى بدم الشهادة, فالدماء قوام

واستنطقى الأحداث عن أجدادنا تشهد لنا فى الخالدين عظام"(زكرياء, 2007, ص45)

يمجد الشاعر فى الأبيات السابقة المقاومين, ويجعلهم أمل الشعب ورجاؤه, فهم مرشد الشعب ودليله, وعلى يديهم يعود الحق لأصحابه, وبدمائهم الطاهرة يسطرون مجد الجزائر, ويشقون طريق الخلود, والتاريخ خير شاهد على ذلك؛ فالبطولة أمر ليس بجديد على الجزائريين, وقد سطره من قبل أجدادهم فى التاريخ حتى لتشهد عظام شهدائنا الخالدين عن ذلك.

والشاعر فى قصيدته (بنت الجزائر) يحكى لنا بطولة الجزائريات, فقد وقفت المرأة فى المعركة جنبًا إلى جنب مع الرجل لتثبت أن ساحة المعركة ليست قاصرة على الرجال, فيقول على لسان بنت الجزائر :

"يوم نادى المنادى ودعا للكفاح

قمت أحمى بلادى وتركت المزاح"(زكرياء, 2007, ص79)

فعندما نادى داعى الوطن لبت بنات الجزائر النداء تاركين ورائهم كل لهو أو مزاح معلنين وقوفهم أمام العدو بكل صلابة و قوة للدفاع عن وطنهم.

ويستطرد فى القصيدة نفسها فيقول أيضًا على لسان بنت الجزائر:

" أنا أرمى القنابل والمسدس جنبي

أنا أهوى المناضل اصطفيه بحبى "(زكرياء, 2007, ص79)

ويبين لنا الشاعر فى البيتين السابقين الأدوار العظيمة التى قامت بها المرأة فى الحرب, فلم يقتصر دورها على إعداد الطعام للمقاتلين أو نقل رسائل الثوار, وإنما حملت السلاح ورمت القنابل وهوت حياة النضال, فكانت النساء شقائق الرجال فى الحرب, و قد استخدم الشاعر لفظة (اصطفى) ليدل على أن فتيات الجزائر كانت لديهن خيارات عديدة إلا أنهن فضلن حياة الكفاح والثورة على حياة الدعة والراحة, كذلك فإن تكرار الشاعر للضمير المتكلم (أنا) يدل على الفخر والاعتزاز فبنات الجزائر لسن أقل من رجالها.

ويدعو الشاعر فى قصائده الشعب إلى الثورة, ويرغبهم فى الموت ويخبرهم أن تلك التضحيات التى قاموا بها لن تذهب عبثًا فيقول فى قصيدة (فاشهدوا) :

" نحن من أبطالنا, ندفع جندا وعلى أشلائنا نصنع مجدا

وعلى أرواحنا, نصعد خلدا وعلى هاماتنا, نرفع بندا

جبهة التحرير, أعطيناك عهدا...

وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا...

صرخة الأوطان, من ساح الفدا اسمعوها واستجيبوا للندا

واكتبوها, بدماء الشهداء واقرأوها, لبنى الجيل غدا...

قد مددنا لك يا مجد, يدا... "(زكرياء, 2007, ص62)

يصور لنا الشاعر كيف بنى الجزائريون من أشلائهم طريقًا للمجد وصنعوا من أرواحهم سلمًا للخلود ويدعوهم إلى تلبية داعى الوطن, والتضحية من أجله بالروح والدم, ويذكر أن التاريخ سيكون شاهدًا عن تلك البطولات التى رويت بالدماء, وسيحكى لأبناء الجزائر كيف كان أباؤهم أبطالًا لا يخشون الموت, فإذا نادى داعى الوطن لبوه وعاهدوه على النضال.

ومنه قول الشاعر فى قصيدة (أنا ثائر):

" أنا ثائر

فى الجزائر

أنا ثائر

إن أمت : تحيا الجزائر..." وقد وردت فى الأصل تحي, واخترت أن

أكتبها هنا وفقًا للرسم الصحيح (زكرياء, 2007, ص108)

يتضح من الأبيات السابقة عدم الاكتراث بالموت, ففى تلك التضحية إحياء للوطن, و لهيب الثورة يدل على أن الجسد لايزال ينبض بالحياة وأنه لم يمت, وهذه الدماء الطاهرة هى وقود الثورة ونارها المشتعلة, حيث يعلى الشاعر قيمة الفداء ويجعلها أغلى من حب الحياة, واستخدام الفاعل لصيغة اسم الفاعل (ثائر) لتدل على الاستمرارية فكأن صفة الثورة أصبحت شيئًا ملاصقًا وملازمًا له.

ويصور لنا الشاعر الموت تصويرًا جميلًا فى قصيدته (وتكلم الرشاش جل جلالة) فيقول :

" أكباد من ..؟ هذى التى تتفطر؟ ودماء من ..هذى التى تتقطر؟

وقلوب من..؟ هذى التى أنفاسها فوق المذابح للسمآ, تتعطر؟

ورؤوس من ..؟ تلك التى ترق إلى حبل المشانق, طلقة تتبختر؟ "(زكرياء, 2007, ص115)

و الشاعر فى قصيدته يحبب الموت إلى نفوس الناس, ويصوره كما لو كان حدثًا أو عرسًا عظيمًا يستعدون له فيتطيبون, ويصور كيف يصعدون إلى حبال المشنقة متبخترين يسيرون بكل حرية وانطلاق لا يخشون شيئًا, فالموت فداء للوطن هو أسمى غاياتهم, كما أن الموت ليس النهاية, وإنما هو بداية لحياة جديدة يستقبلونها بالتطيب و السير بفخر واعتزاز.

ومن أمثلة ذلك أيضًا قول الشاعر فى قصيدة (سنثأر للشعب) عن الموت:

"رأينا أخاديد السياسة جمة فقمنا على أشلائنا نصنع الطرقا
وقالوا : منال المجد, فوق مشانق فرحنا لنيل المجد, نستعجل الشنقا
وقالوا : انعتاق الشعب, فوق مقاصل فقمنا على أعوادها, ننشد العتقا"(زكرياء, 2007, ص172).

وقد وجد الجزائريون أن طرق السياسة لا تسمن و لاتغنى من جوع فاتبعوا طريق الثورة, وبنوا من تضحياتهم جسرًا للنصر, فهم يرون أن تلك التضحيات هى سبيلهم الوحيد لنيل حريتهم واستقلالهم فيستعجلون الموت ويرون فيه خلاصهم, واستخدام الشاعر للفاء فى البيتين الأخيرين يفيد الترتيب مع السرعة, فالشعب الجزائرى لما علم أن الوصول إلى الحرية يتطلب تقديم النفس قربانًا للوطن لم يفكر لحظة أو يتردد بل سارع لتلبية النداء.

ومن ذلك فى قصيدة (الذبيح الصاعد) التى نظمها الشاعر فى سجن بربروس فى أثناء تنفيذ حكم الإعدام على أحمد زبانا قول الشاعر :

" قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان, يتلو النشيدا
باسم الثغر, كالملائكة أو كالط فل , يستقبل الصباح الجديدا
شامخًا أنفه, جلالًا وتيها رافعًا رأسه, يناجى الخلودا" (زكرياء, 2007, ص17)

يصور لنا الشاعر شجاعة البطل أحمد زبانا, واستقباله للموت بصدر رحب, باسم الثغر رافعًا رأسه بكل عزة وشموخ, ساطرًا لحظة من أروع لحظات الخلد والبطولة التى تسطر بالدماء فى تاريخ الجزائر, وقد فجر الاحتقان الثورى فى الجزائر نوعًا من البطولة الساخرة التى لاتعبأ أو تهتم بالآلام الجسدية فلا عجب أن تنقلب المعارك إلى أعراس ويشيع الشهداء بالزغاريد والاحتفالات ويتقدم أبطال الجزائر إلى المقاصل ترتسم على وجوههم بسمة الرضا التى يرتعد منها جلادوهم (خرفى, د.ت, ص233).

وقول الشاعر فى القصيدة نفسها على لسان زبانا :

" واقض يا موت فى ما أنت قاض أنا راض إن عاش شعبي سعيدا
أنا إن مت فالجزائر تحيا حرة مستقلة لن تبيدا"(زكرياء, 2007, ص18).

فزبانا يستقبل الموت بكل رضا إن كان فى موته إحياء للجزائريين, وتخليص لهم من حياة صعبة طالما عاشوها تحت ظل مستعمر غاشم, وهو يتمنى أن يكون موته سببًا فى استقلال الجزائر, وعودتها حرة مستقلة.

ويرى الشاعر أن زبانا لم يُقتل, و إنما صعد إلى السماء فيقول:

"زعموا قتله ... وما صلبوه ليس فى الخالدين عيسى الوحيدا!

لفه جبرائيل تحت جناحي ه إلى المنتهى رضيًا شهيدا"(زكرياء, 2007, ص18).

ويوضح الشاعر فى الأبيات السابقة فكرة الشهادة, فقد شبه زبانا بعيسى عليه السلام, فهو لم يقتل أو يصلب إنما صعد به ربه إلى السماء, ووجه الشبه فى ذلك أن الشهيد حى يرزق عند الله فقد قال الله تعالى" ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون" (سورة آل عمران ,169).

وقد أشار الشاعر فى ديوانه إلى تضحيات أمة أخرى اشتركت مع الجزائر فى النضال ضد المحتل الفرنسي, والتى كانت لها مكانة كبيرة فى نفس الشاعر وهى تونس, والشاعر يدعو فى قصيدته (إرادة الشعب تسوق القدر) التى نظمها فى تونس, بمناسبة اعتداءات الاحتلال الفرنسي الدامية على بنزرت, إلى الثورة و الحرب فيقول:

"شعب محا بالموت ذل الشقآ لما رأى الموت, سبيل البقآ

وانصب كالمارد يوم اللقآ فحير المغرب, والمشرقا

واختار أن يحصد, أو يحرقا من أن يخون العهد والموثقا

إلى قوله

شعب دعاه للفداء (الحبيب) فراح نشوان, يخوض اللهيب

وانصب كالمارد, يوم اللقآ فحير المغرب, والمشرقا

الموت فى حرب الخلاص يطيب وكل ما شاء (الحبيب) حبيب" (زكرياء, 2007, ص212).

يرى زكرياء أن الشعب التونسي الشقيق قد فضل الموت على حياة الذل والهوان, واختار أن يقتل أو يحرق عوضًا عن أن يستسلم أو يسلم للعدو, فعندما دعاه الحبيب بورقيبه للقتال والكفاح هب بكل جرأة و شراسة للدفاع عن وطنه غير عابئ بالموت, مقدمًا روحه بكل طيب نفس, فهو لم يرض أن يحيا حياة كالممات, واختار القتال والشهادة بدلًا من الخضوع والاستسلام, وقد شبه الشاعر الموت بالممحاة التى تمحو وحدها كل سنوات الذل والعذاب, فالتضحية بالنفس قربانًا للوطن هو طريق النصر, واستخدام الشاعر لجملة (يخوض اللهيب) يدل على عدم التردد أو الخوف من صعوبة المعركة, فقد اجتاز الجزائريون النار لتحرير وطنهم فى حرب هى طريق الخلاص الوحيد من ظلم العبوية.

إذًا يمكننا القول إن جوهر فلسفة الموت عند الشاعر يمكن إجمالها فى عدة نقاط وهى :

- الموت أفضل بكثير من حياة الذل والهوان.

- أن الروح والدم يرخصان فداء للوطن.
- أن الموت ليس النهاية, وإنما هو بداية لحياة أخرى جديدة, فهو الطريق الوحيد للخلاص والاستقلال, وأن الشهيد لايموت وإنما هو عنده ربه حى يرزق, ولهذا يستقبل المقاتلون الموت بترحاب وابتهاج .
- أن الموت هو طريق للمجد و الخلود.

إذًا يمكننا القول إن فكرة الثورة لاقت نوعًا من الاستحسان فى نفوس الناس للأسباب السابقة .

ثانيًا: الدعوة إلى الثورة المسلحة (ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة)

أصبح الجزائريون على دراية كاملة بخبث المحتل الفرنسي وألاعيبه و اتباعه لسياسة المماطلة, وعدم جدوى التفاوض للحصول على الحقوق, فنجد الشاعر فى قصيدته (زنزانة العذاب) يقول مخاطبًا فرنسا :

" فكم قطعت عهودًا وأصبحت حلمًا حتى غدونا بغير الحرب لانثق

حقوقنا بدم الأحرار نكتبها لا الحبر أصبح يعنينا ولا القلم" (زكرياء, 2007, ص18).

فقد أدرك الشعب الجزائرى أخيرًا أن فرنسا لن تفىَ بوعد أو ميثاق, وأن طريق الحرب والقتال هو الطريق الوحيد لنيل الاستقلال, وإعادة الحق المسلوب لأصحابه, فكم قطعت فرنسا من عهود كانت كالأحلام أو الخيالات التى يراها الرائى فى المنام ليفيق على واقع مغاير يذهب بأحلامه إلى جحيم مظلم أو كالسراب الذى يراه الظمآن ماء, و" ينفض مفدى زكرياء يديه من الحبر والورق كأنه ليس بالشاعر الأديب, حين يرى فى دم الأحرار الحروف التى لا تمحى, والأصداء التى تخترق الصمم, معلنة أن الحق المهضوم, والظلم المستديم لا يؤخذ إلا عن طريق التضحية بالدم الغالى"(حمه دحمانى, 2005, ص165).

و يذكر الشاعرمفدى زكرياء فى بداية ديوانه أن الدافع وراء ثورة الجزائريين لم يكن الظلم أو العدوان, وإنما كانت الثورة ثورة إرجاع حق إلى أصحابه, ودفع الظلم عنهم, فالجزائريون لم يبدأوا بالعدوان, وإنما دفعوا إليه دفعًا حتى يستعيدوا حقوقهم المشروعة, فيقول فى قصيدته (الذبيح الصاعد):

" ثورة لم تكن لبغى, وظلم فى بلادى تفك القيودا

كم اتينا من الخوارق فيها وبهرنا بالمعجزات الوجودا

واندفعنا, مثل الكواسر نرتا د المنايا, ونلتقى البارودا

من جبال رهيبة, شامخات قد رفعنا على ذراها البنودا(زكرياء, 2007, ص18).

يوضح الشاعر فى الأبيات السابقة أن الثورة الجزائرية تهدف إلى تحطيم قيود الاستعمار, وأن الشعب الجزائرى قد أتى فيها بالمعجزات التى بهرت العالم كله, واستخدام الشاعر لكم الخبرية فى قوله (كم أتينا) يدل على عظم ما جاد به أبناء الجزائر, فقد علموا الناس دروسًا فى التضحية والنضال, فكيف يواجه هذا الشعب الأعزل الذى لايمتلك من الإمكانات إلا القليل قوة استعمارية عظمى كفرنسا, وكيف

يواجهون فرنسا بكل جرأة وشجاعة غير آبهين بالموت, مصدرين أنفسهم للبارود, شامخين كشموخ جبالهم .

وتتضح الفكرة نفسها فى قول الشاعر فى قصيدته (ذروا الأحلام وأطرحوا الأمانى) فيقول:

" ونحن بنو السلام, فإن لجأنا إلى حرب, فقسرًا واضطرارا

إلى قوله :

نرى استقلالنا, عدلًا وحقًا فرنسا لم تزل فيه تمارى "(زكرياء, 2007, ص133,132).

فالشعب الجزائرى شعب مسالم لا يلجأ إلى حرب حتى يستنفذ كل الطرق أمامه, وقد اتضح ذلك فى التركيب الإضافى (بنو السلم) الذى يدل على المهادنة والسلام, وفرنسا كباقى الاستعمارية تماطل فى إعادة الحق إلى أصحابه, وتأبي أن تعطى الجزائر استقلالها دون قتال.

كما يبين لنا الشاعر فى قصيدته (وتعطلت لغة الكلام) كيف زعمت فرنسا بأن الجزائر جزء منها ويذكر أن هذا الزعم ما هو إلا ضرب من ضروب الجنون فيقول:

" زعمت فرنسا فى المحافل ضلة ملك الجزائر ... والجنون غرام

كاللص, يسترق المتاع ويدعى ملكًا ... أيسمع للصوص كلام؟!"(زكرياء, 2007, ص45).

ففرنسا تدعى ضلالًا أمام العالم ملكية الجزائر, وهى كمن كذب كذبة وصدقها, فهى كاللص الذى يسرق ماليس له, ثم يدعى ملكية ذلك, فهل يأخذ للصوص كلام؟ واستخدام الشاعر للفظة (زعم) يدل على كذب ادعاء فرنسا.

ويوضح الشاعر فى القصيدة نفسها كيف سيسترد الجزائريون حقوقهم حتى لو أنكرتها كل الأقطاب الدولية, وتنصلت من نصرتها فيقول:

" فلتعلم (الأقطاب) أنا للفدا ثرنا... وأن الانعتاق لزام

(الرهط) فى أرض الجزائر خالص و(النفط) فى أرض الجزائر خام!

إن تنكر الحق الصراح سياسة فيها توزع فى الخفاء, سهام!

فلنا على عبث السياسة ثورة ولنا لرد الطامعين, سهام!" (زكرياء, 2007, ص46).

و الشعب الجزائرى قرر حتمية حصوله على استقلاله, فهو يعلن أن بلاده أرض جزائرية خالصة لاشبر فيها لفرنسا, واستخدام الشاعر للفظتى (خالص) و (خام) يؤكد ذلك, وإن تنكر المجتمع الدولى من هذا الحق الصريح الواضح؛ محاباة لفرنسا, وتحقيقًا لمصالحه فى الهيمنة على البلاد الأخرى, وقد جعلت فرنسا الجزائر كالتركة التى توزعها على من تشاء, بينما أعلن الجزائريون أنهم لن يرضخوا لعبث السياسة وتحكماتها ومطامعها, وسيلقون بسهام الثورة والغضب على الطامعين المحتلين.

و يأمر الشاعر فرنسا فى قصيدته (فلا عز حتى تستقل الجزائر) بترك الأوهام التى تعيشها فلن يتخلى الجزائريون عن شبر واحد من أرض الجزائر فيقول:

" فرنسا .. ذرى الأوهام, فالوهم قاتل فلسنا نضحى, من جزائرنا, شبرا..!

فرنسا.. دعى الأطماع, فالسعى فاشل (فكل فرنسا) لا نبيع بها الصحرآ ؟!

وإن تيمتكم, ثروة فى بطونها حفرنا لكم, فى بطن صحرائنا قبرا!" (زكرياء, 2007, ص260, 261).

والشاعر فى الأبيات السابقة يعلن بكل وضوح بطلان مساعى فرنسا وأوهامها, فالجزائريون لا يستبدلون صحراءهم بفرنسا كلها, وإن أغرت ثروات الجزائر الفرنسيين فسيكون أبناء الجزائر لهم بالمرصاد, وستحفر قبورهم فى صحراء الجزائر.

و أود أن أنوه إلى موقف المجتمع الدولى المتخاذل فى قضية الثورة الجزائرية, فنرى الأمم المتحدة تتنكر من مبادئها, خاصة حق تقرير المصير الذى كان مجرد قانون صورى, أو كما يقال حبر على ورق, بينما هى على أرض الواقع تقف مع المحتل, ومن ذلك قول الشاعر فى قصيدة (أكذوبة العصر) التى نظمها للتنديد بالأمم المتحدة عقب موقفها المفضوح من قضية الجزائر فيقول:

" وما لهم نسبوا للعدل, مجتمعًا أمر الضعاف به فى كف مقتدر؟

سوق, يباع و يشرى فى معابرها حق الشعوب لنصاب و محتكر!

كم خان فيها قضايا العدل ناصعة قوم, يسوقهم الدولار كالبقر!

إلى قوله:

لا نرتجى العدل من قوم سماسرة خير البرية منهم, غير منتظر"(زكرياء, 2007, ص121,123).

فها هو المجتمع الدولى الذى يزعم كونه نصيرًا للضعفاء وداعيًا للعدالة يضع مصير الشعوب فى يد جلاديها معلنًا سلطتهم الكاملة عليها, فالأمم المتحدة ما هى إلا حليفة لفرنسا لا تحيد عنها, كما شبههم الشاعر بالسماسرة المنتفعين الذين لايعرفون سوى لغة المال والدولار, يهرولون خلفها كالأنعام غير مكترثين بمصير الضعفاء, فلا ننتظر منهم نفعًا, ولا نرتجى منهم خيرًا.

وكذلك قول الشاعر فى قصيدة (وتعطلت لغة الكلام) منتقدًا منظمة الأمم المتحدة :

"هم حرروا الميثاق هلا حرروا أممًا تسام حقارة وتضام؟؟" (زكرياء, 2007, ص41).

يتعجب الشاعر فى البيت السابق من وضع الأمم المتحدة لميثاق تقرير الشعوب لمصيرها وتركها لهذه الشعوب تحت ذل المستعمر تساق كما تساق الأنعام دون أدنى رحمة أو شفقة, فهو يوضح المفارقة بين كلام الأمم المتحدة الذى يعد حبرًا على ورق و أفعالها التى توالى المحتل وتدعمه.

ومنه قول الشاعر فى قصيدة (أهدافنا فى العالمين صريحة) التى قيلت بمناسبة عقد الدورة الرابعة عشر للمنظمة الدولية (سبتمبر, 1959), ونوقشت فيها القضية الجزائرية, واتضح فيها تواطؤ دول حلف الأطلسي وخذلانها للائحة الأفريقية الأسيوية:

"وقف القتال, خرافة إن لم يكن للشعب فى أمر "المصير" تحكم
أرض الجزائر لابنها ثرواتها ومن الخيانة أن تباع الأسهم!!

إلى قوله:

(والمجمع الدولى) لغز غامض ما إن يحل على يديه الطلسم!
يجد القوى من القوى, مناصرًا وتخيب آمال الضعيف, ويحرم !
إن تنكر " الدنيا الجديدة" حقنا وينال نصرتها الظلوم المجرم
لا تعجبوا.. ألفت تخون ضميرها وتساند المستعمرين وتظلم
وتسوقها أطماعها لدناءة ويجرها نحو الظلال المغنم
فليسخر الميثاق من أقطابه ولينتظم فى كل عام مأتم
إن كان فى طى السلام مذلة فالموت أشرف للكرام وأسلم
أو كان تقرير المصير خديعة فلنعم تقرير المصير جهنم !" (زكرياء, 2007, ص125,126).

يعدد الشاعر فى البداية أهداف الثورة الجزائرية المشروعة, والتى لا رجوع عنها لوقف القتال, وهى حق الشعب الجزائرى فى تقرير مصيره, وعودة ثرواته المنهوبة, فمن الخيانة توزيع الجزائر كتركة للمستعمر, ثم يبين لنا الشاعر موقف المجتمع الدولى وخيانته للضمير الإنسانى وخذلانه للجزائريين ووقوفه مع فرنسا, فهو ينصر القوى على الضعيف, ويضع عنق المظلوم تحت رحمة الظالم, سائرًا خلف أطماعه ورغبته فى الهيمنة والسيطرة, ويسخر الشاعر من ذلك الميثاق الذى يقف على أشلاء الحق, ويرى أن الطريق الوحيد هو ترك السلام إن كان يحوى فى طياته الذل والعار, فعندئذ يغدوالموت والقتال أشرف الحلول و أسلمها, وإن كان حق تقرير المصير خديعة, فلنفتح النيران على مصراعيها, ولنجعل الجزائر جهنمًا على رؤوس الفرنسيين.

ومن ذلك قول الشاعر فى قصيدة (سنثأر للشعب) :

" وفى أمريكا, للطغاة (حضانة) وفى أمريكا تصرع القوة الحقا
وفى مذبح الأحلاف, تزهق أنفس وتخنق أنفاس الشعوب به, خنقا"(زكرياء, 2007, ص174).

فأمريكا تحتضن الطغاة وتدعمهم, وهى كمن يحابي طفلًا صغيرًا يضمه و يرعاه بينما يقف معاديًا للمظلوم, ويصور الشاعر فرنسا وحلفاءها بالطغاة الذين يقيمون مذبحًا للشعوب يزهق فيه الحق وينصر فيه الباطل .

إذا يمكننا القول إن الشاعر استخدم المفارقة للتعبير عن موقف الأمم المتحدة من الشعوب, فهى تضع المواثيق التى تتعهد فيها بمساندتها, ودعم حقها فى تقرير مصيرها, وفى الوقت ذاته تدعم المحتل وتواليه, فتأتى أفعالها مناقضة لأقوالها.

وقد دفع هذا الجزائريين إلى التوجه للشرق لطلب الدعم والمعونة, فالشاعر يقول فى قصيدته (سنثأر للشعب):

" تلومونا, أن أصبح الشرق عوننا وقد صار هذا الغرب فى حربنا شقًا "(زكرياء, 2007, ص174).

يتضح من خلال البيت السابق أن الغرب قد أصبح طرفًا فى المعركة, فقد وقف مع المحتل وسانده ضد إرادة الجزائريين, فما كان من الجزائريين إلا أن توجهوا للشرق يطلبون منه المعونة.

لأجل كل هذه الأسباب لجأ الشعب الجزائرى المسالم للحرب, فهو ليس من محبى الحرب أو القتال ولكنه إذا اضطر إلى ذلك كان بالمرصاد.

ومن الأبيات التى يدعو فيها الشاعر إلى استخدام القوة فى مواجهة المحتل قوله فى قصيدة (فاشهدوا), وهى النشيد الرسمى للثورة الجزائرية, و النشيد الوطنى للجزائر الآن :

" نحن ثرنا, فحياة أو ممات ...

وعقدنا العزم .. أن تحيا الجزائر

فاشهدوا ...

نحن جند, فى سبيل الحق ثرنا وإلى استقلالنا, بالحرب قمنا

لم يكن يصغى لنا, لما نطقنا.. فاتخذنا, رنة البارود وزنا..

وعزفنا نغمة الرشاش لحنا

وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر"(زكرياء, 2007, ص61).

يعلن الشاعر فى قصيدته أن الثورة أمر حتمى لاعودة عنه ولارجوع فيه, فهى مسألة حياة أو موت, وقد خاض الجزائريون معارك مصيرية مع الاحتلال, وخاضوا حربًا ضروسًا, حرب حياة أو موت لا تؤدة فيها ولا هوادة, لإعادة حقوقهم المسلوبة بعدما لم يغن الكلام أو يسمن من جوع, فجاءت كلمة البارود والرشاش لتعلن عن وجودها, وتتسم ألفاظ الشاعر فى الأبيات السابقة بالقوة والجزالة, ومن ذلك قوله (ثرنا, فحياة أو ممات, قمنا, البارود, الرشاش, عقدنا العزم) التى تحمل دلالة التهديد والوعيد فقد اعتزم الجزائريون على تحرير وطنهم, ولن يثنيهم عن ذلك شيئًا, وسوف يسلكون كل الطرق الممكنة لأجل تحقيق هذه الغاية.

ويستكمل الشاعر قصيدته فيقول:

" يا فرنسا قد مضى وقت العتاب وطويناه كما يطوى الكتاب

يا فرنسا إن ذا يوم الحساب فاستعدى وخذى منا الجواب

إن فى ثورتنا فصل الخطاب .." (زكرياء, 2007, ص61).

يتبين لنا من الأبيات السابقة أن الجزائريين قد أغلقوا صفحة العتاب إلى الأبد, وارتضوا الثورة طريقًا لفض هذا النزاع, فمن غير الممكن أن تترك فرنسا الجزائر دون قتال أو حرب, وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة, ويتضح من الأبيات السابقة النبرة الحادة التى يخاطب بها الشاعر فرنسا, والتى تتوعد الفرنسيين بالهلاك والموت, ويظهر ذلك من الجمل الآتية (قد مضى وقت الحساب), (إن ذا يوم الحساب فاستعدى), (إن فى ثورتنا فصل الخطاب).

ومن الأمثلة التى يدعو الشاعر فيها إلى الحرب قوله فى قصيدة (قال الله) التى قالها الشاعر فى الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية :

" وهزت (جبهة التحرير) شعبًا فهب الشعب ينصب انصبابا

إلى قوله:

وقال الله : كن ياشعب حربًا على من ظل لايرعى جنابا

وقال الشعب: كن يارب عونًا على من بات لا يخشى عقابا (زكرياء, 2007, ص34).

فالشعب قد استجاب لدعوة جبهة التحرير الجزائرية, وهى رمز الثورة المسلحة فى الجزائر, فقام ملبيًا النداء, ثم يذكر الشاعر بأن الجهاد هو كلمة الله العليا التى قذف بها فى الشعب ليتخلص من سطوة هذا المستعمر الباغى, ويطلب الجزائريون من الله أن يكون عونًا لهم فى هذه الطريق الصعبة, وفى حربهم الشرسة ضد مستعمر أمن العقاب فأساء الأدب, ويدل استخدام الشاعر لجملة (بات لا يخشى عقابا)على تجبر المستعمر وطغيانه وارتكابه لأفظع الجرائم ضد الجزائريين دون أى حساب أو عقاب.

ومن ذلك أيضًا قول الشاعر فى قصيدته (وتكلم الرشاش ﷺ), التى توحى لنا من مجرد العنوان فكرة التمرد والثورة المسلحة على العدو, وكيف كانت لها الكلمة العليا فى الحرب فيقول:

" وتكلم الرشاش, ﷺ ..!! فاهتزت الدنيا, وضج النير

ونزلت آياته لهابة لواحة, أصغى لها المستهتر

والنار, للألم المبرح, بلسم يكوى بها العظم الكسير فيجبر

والنار فى "مس الجنون" عزيمة يصلى بها المستعمر المتكبر

والغاصبون, العابثون إذا هم سمعوا الحديث, من الحديد تدبروا ..!

والعزل, المستضعفون إذا هم تركوا القيادة للرصاص تحرروا"(زكرياء, 2007, ص116).

يضفى الشاعر على الرشاش فى الأبيات السابقة صفة الألوهية فى قوله (ﷺ), ويجعله الحكم الفيصل فى القتال, ويبين الشاعر كيف أصغى ذلك المستعمر المستهتر الذى لايهمه أحد إلى صوت البارود, وكيف كانت نيران الثورة جبرًا لآلام الجزائريين ومعاناتهم وبلسمًا يشفى جراحهم, وكيف كانت بمثابة الرقية من مس الجنون الذى أصاب الفرنسيين باحتلالهم الجزائر, فكانت كالصفعة التى أعادت فرنسا لوعيها, وأصبح هؤلاء المحتلون مستمعين أصغياء لصوت البارود يشستشفون منه مصيرهم

فيتدبرون ويمعنون التفكير ألف مرة فى فكرة بقائهم على أرض الجزائر, وكيف أن المستضعفين إذا جعلوا الرصاص قائدهم تحرروا ونالوا استقلالهم, وأجبروا العالم على الخضوع لإحداثيات الواقع.

ومن ذلك قول الشاعر فى قصيدته (إقرأ كتابك) التى نظمها بسجن (البرواقية) فى الذكرى الرابعة للثورة الجزائرية:

" إن الجزائر قطعة قدسية فى الكون لحنها الرصاص ووقعا!

وقصيدة أزلية, أبياتها حمراء, كان لها (نفمبر) مطلعا !" (زكرياء, 2007, ص51).

وقد استخدم الشاعر لفظة (الرصاص) ليدل على التمرد على العدو والثورة عليه, كما أن لفظة (حمراء) هنا تدل على كثرة التضحيات التى قدمها الشعب, وقد كتب الجزائريون التاريخ بدمائهم حتى تنتصر ثورتهم التى كان أول نوفمبر شاهدًا على انطلاقها.

ومنه قول الشاعر فى القصيدة نفسها, وهو يدعو إلى استخدام السلاح :

"إنى رأيت الكون يسجد خاشعًا للحق والرشاش إن نطقا معا!!

خبر فرنسا يازمان بأننا هيهات فى استقلالنا أن نخدعا"(زكرياء, 2007, ص58).

والشاعر فى البيتين السابقين يضفى أيضًا على الرشاش صفة الألوهية فيجعل منه ربًّا يخضع له الجميع, ويبين أن اللغة الوحيدة التى يسمعها العالم هى لغة القوة, فالدفاع عن الحق لا وزن له إن كان مجرد كلام, لاتدعمه القوة على أرض الواقع وفى ساحة المعركة, وقد وضحنا ذلك فى موقف المجتمع الدولى وتخاذله عن نصرة المستضعفين, ووقوفه مع الجانى, فهو لا يحرك ساكنًا إلا إذا وجد حلفاءه فى مأزق عندئذ يتحرك لإنقاذهم, وكل الطرق السلمية لن تجدى, فمماطلات فرنسا لم تعد تنطلى على الجزائريين أو تخدعهم.

وكذلك قول الشاعر (أذكروا الثورة فى أقسامكم) مخاطبًا شباب الجزائر :

" أنتم أكباد شعب ثائر قام بالنار يرد المعتدى "(زكرياء, 2007, ص169).

يذكر الشاعر فى الأبيات السابقة أن الشباب هو وقود الثورة وروحها المشتعلة فهم كبد الثورة فالكبد هو العضو المسئول عن التخلص من السموم فى الجسم, وكذلك تقع مسئولية التخلص من المستعمر وذيوله على عاتق شباب الجزائر, وقد استخدم لفظة (معتدى) للدلالة على إلحاق الفرنسيين الأذى بالجزائريين وتعديهم عليهم دون وجه حق, فما كان من الجزائريين إلا أن حاولوا دفع الأذى والظلم عنهم, فثورة الجزائر كانت حقًا مشروعًا لهم لرد الاعتداء.

ومن ذلك قول الشاعر فى قصيدة (ماذا تخبئه يا عام ستينا) :

" لا سلم فى الأرض ما دامت قضيتنا لم تلق فى الأرض, بالقسط الموازينا

ثرنا على الظلم, لا نلوى على أحد لا شىء فى الكون, دون العز يرضينا "(زكرياء, 2007, ص130).

يعلن الشاعر فى البيتين السابقين أن السلم لم يعد خيارًا متاحًا, فهو لم يجد طائلًا ولم يقر حقًا, ومن ثم كانت الثورة أمرًا حتميًا لامفر منه, فالشعب لايرضى دون العز خيارًا .

ومن ذلك قول الشاعر فى قصيدة (وتعطلت لغة الكلام):

" السيف أصدق لهجة من أحرف كتبت فكان بيانها الإبهام

والنار أصدق حجة فاكتب بها ما شئت تصعق عندها الأحلام

إلى قوله :

لغة القنابل فى البيان فصيحة وضعت لمن فى مصمعيه صمام"(زكرياء, 2007, ص42).

تتضح الفكرة فى الأبيات السابقة بداية من عنوان القصيدة, حيث يبين العنوان كيف صارت لغة الكلام شيئًا من الماضى, و كيف أصبح السيف أبلغ فى الحجة من حروف كتبت بلغة مبهمة لا يفهمها العدو, وأن النار والبارود أوقع فى النفس من الكلام و أشد؛ فبالنار تصعق أحلام المحتل, وتصبح هشيمًا تذروه الرياح, ويبين البيت الأخير أن لغة القنابل تستطيع من شدتها وقوتها إسماع من لديه صمم.

ومنه قول الشاعر فى قصيدة (أكذوبة العصر), وهو يلخص كل ما سبق وأشرنا إليه:

" ويح القوى من الضعاف, إذا هم يوم القصاص على الطغاة تنمروا!

وإذا الجزائر بالسلاح استعبدت فمصيرها بسلاحها يتقرر "(زكرياء, 2007, ص119).

يشبه الشاعر الحرب والقتال بيوم القيامة الذى يقتص فيه المظوم من الظالم, فقد تحمل الشعب الجزائرى الكثير حتى جاء يوم القصاص فتمرد على المستعمر, وقد أخرجت تلك الأمة سلاحها لتخاطب المستعمر بلغته نفسها, فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

ثالثًا: استجابة القدر لإرادة الشعب

تأثر الشاعر مفدى زكرياء بصاحبه أبى القاسم الشابي (الشيخ سليمان, 2010, ص25) وقوله فى قصيدة (إرادة الحياة):

" إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر"(الشابي, 70,2005)

يتضح من البيتين السابقين أن الشعب إذا تملكته إرادة الحياة فسعى للحرية وبذل فى سبيلها الغالى والثمين فلابد أن ينصاع القدر أمام تلك العزيمة الصادقة والرغبة فى الخلاص, ولابد أن يغيب ليل المستعمر يومًا ما لتسطع شمس الحرية .

وقد كانت لتلك الفكرة حضور واضح فى العديد من القصائد, ومنه قول الشاعر فى قصيدة (فلا عز حتى تستقل الجزائر):

" بلادى, يمينًا بالذى شرع الفدا وبالجيش, فى الساحات, يسترخص العمرا
و(بالخمسة الأحرار) تخطف فى السمآ ويحجزهم فى السجن جلادهم أسرى
وحق (الجميلات الثلاث) وبالتى أجابت, فراحت للفدآ, تهجر الخدرا
سنثأر! حتى يعلم الكون أننا أردنا- فأرغمنا- بإصرارنا الدهرا"(زكرياء, 2007, ص264).

يقسم الشاعر فى البداية بالله و بتضحيات الثوار وإرخاصهم للدماء فداء لوطنهم, و بالأسرى المحتجزين فى السجون, و بالفتيات- الجميلات الثلاث وهن جميلة بوحيرد, جميلة بو باشه, جميلة بو عزة , وقد حكم عليهن بالإعدام (زكرياء, 2007, ص264)- اللاتى تركن مخدعهن وأجابوا داعى الثورة والجهاد بأن الجزائريين سوف يثأرون لهم حتى ليرى العالم كله أن الجزائريين إذا أرادوا أرغموا بإصرارهم وعزيمتهم الدهر على موالاتهم, فيجعل الشاعر من الدهر تابعًا مذعنًا لهم .

وفى قصيدة (إقرأ كتابك) يبين لنا الشاعر كيف كتب الله الحرية للجزائريين فيقول:

"إن الجزائر فى الوجود رسالة الشعب حررها وربك وقع
إن الجزائر قطعة قدسية فى الكون لحنها الرصاص ووقع"(زكرياء, 2007, ص51).

يعبر الشاعر فى البيتين السابقين كيف استطاع الشعب بكفاحه المسلح إرغام العدو على إرجاع الحق إلى أصحابه, و قد بارك الله عز وجل جهود الثوار ووقع على تحرير الجزائر, فالبيتان السابقان يثبتان أن الشعب إذا أراد وسعى فلابد للقدر أن يستجيب.

يضرب الشاعر لنا فى الديوان أمثلة على استقلال شعوب عربية أخرى كالمغرب وتونس ومصر وكيف أرغمت إرادة تلك الشعوب المحتل على التسليم والإذعان, ومن ذلك قول الشاعر فى قصيدته (إرادة الشعب تفوق القدر) وقالها فى أحداث بنزرت الدامية بتونس :

" مهما دفعنا للفدآ مغرما مهما يواتى القدر المجرما

إلى قوله:

مهما طغى الظلم, وحف الخطر واحتدم الخطب, وطار الشرر
مهما عتا المستعمر المحتكر لابد فى (بنزرت) أن ننتصر
إرادة الشعب, تسوق القدر هيهات أن يرتد, لما انفجر
شعب بنى أكباده سلما
وشاد بنزرت بعرق الوتين .." (زكرياء, 2007, ص211).

يوضح الشاعر فى الأبيات السابقة أنه مهما عظم حجم التضحيات, أو وزاد طغيان المستعمر وتجبره واحتكاره للأرض, فلابد فى النهاية أن ينتصر الشعب التونسي العظيم, و أن يستجيب القدر انصياعًا لإرادة هذا الشعب الأبي الذى تحمل الكثير حتى وصل إلى درجة الانفجار, فهيهات أن يعود

إلى سابق عهدة أو يستسلم, فهو كالطلقة التى خرجت من الزناد لا يمكن إيقافها أو إرجاعها إلى مكانها مرة أخرى.

وكذلك قوله فى قصيدة (ادفعوها) ويتحدث فيها أيضًا عن عدوان فرنسا على بنزرت فيقول مخاطبًا التونسيين:

" شرعوها...

عزمات تتحدى القدرآ

يوم بنزرت الرهيب

عندما نادى الحبيب

أدبوا (آمان)

واردعوا (ماريان)" (زكرياء, 2007, ص217).

يذكر الشاعر فى الأبيات السابقة أن إرادة التونسيين القوية قادرة على الانتصار على القدر, فحتى لو اجتمعت كل الظروف التى تنبئ بانتصار فرنسا فإن تلك العزيمة الصلبة ستتحدى القدر وستقلب كل الموازين.

وقول الشاعر فى قصيدة (قل ياجمال) التى نظمها بمناسبة العدوان الثلاثى على قناة السويس:

" إرادة الشعب إن تصدق عزيمته إرادة الله, يجرى باسمها القلم

ما بين - كاف ونون- قالها رجل فكان, وانهار ما خطوا, وما رسموا" (زكرياء, 2007, ص251).

يتحدث الشاعر فى البيتين السابقين عن فكرة أن الله لن يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم, فإذا صدقت إرادة الشعب ورغبته فى النصر جاءت إرادة الله موالية لها, ووفقه الله لتحقيق النصر وجملة (انهار ما خطوا, وما رسموا) تدل على تداعى أحلام الفرنسيين وطموحاتهم.

و الشاعر فى قصيدته (قالوا نريد) التى ألقاها مفدى زكرياء على الملك محمد الخامس يوم استقلال المغرب يقول:

"قالوا نريد, فقيل للأقدار كونى! فكانت رجة الأقدار!

قالوا نريد: فقال ربك نِلتم فمشيئتى و إرادة الأحرار!" (زكرياء, 2007, ص97).

ويبين الشاعر فى البيتين السابقين أن إرادة الثوار هى التى غيرت القدر, وأن الله استجاب لدعواتهم فجاءت مشيئته وأقداره لتتفق مع إرادة هؤلاء المجاهدين الذين ثاروا لأجل نيل حريتهم واستقلالهم .

وكذلك قوله فى القصيدة نفسها :

"وإرادة المستضعفين إذا دعت رباه ! نفذها قرار البارى"(زكرياء, 2007, ص97).

يؤكد الشاعر فى البيت السابق أن الله يقف مع المستضعفين ويسمع دعاءهم فيغير من أجلهم الأقدار.

ويوضح الشاعر فى قصيدته (يوم الخلاص) كيف استطاع الشعب التونسي بكفاحه وإرادته أن يجبر القدر على الاستجابة, وكيف عادت الأرض إلى أصحابها مرة أخرى فيقول:

"يوم عشرين (20 مارس,1956) يا رعى الله يوما فيه قد نالت البلاد المراما

وغدا الشعب, بعد طول جهاد ماسكًا فيه للمصير زماما"(زكرياء, 2007, ص179).

يتحدث الشاعر مفدى زكرياء فى ذكرى استقلال تونس عن جهاد الشعب التونسي وصبره وإصراره على نيل حريته حتى جاء يوم الخلاص, و أصبح القرار بيد مستحقيه مرة أخرى.

رابعًا: الدعوة إلى الوحدة

دعا الشاعر إلى الوحدة بين البلاد العربية بشكل عام, والوحدة بين بلاد المغرب العربي بشكل خاص, حيث تجمعها حدود جغرافية مشتركة, و" قلما نجد فواصل أو حواجز بين بلدان المغرب العربي, كالأنهار الكبرى والجبال العالية والبحار المتسعة والصحارى المترامية", وفيما يتعلق بالمناخ " فإنه يكاد يكون ظاهرة واحدة, وبالتالى فإن الجميع يخضعون لظروف جوية واحدة, ولذلك فإنهم لايشعرون عند التنقل من قطر إلى آخر بأى تفاوت أو تناقض فى ذلك", أما الصفات الشكلية فهى بالنسبة للإنسان فى شمال أفريقيا ذات طابع واحد, ويستطيع الرجل ذو الفراسة إذا صادف مجموعة بينهم فرد أو أكثر من الشمال الإفريقى أن يميز أبناء المغرب العربي عن غيرهم (بيطام, 1998, ص6), و من ثم يدعو الشاعر إلى الوحدة, ففى التوحد قوة, وفى التفرق ضعف وانهزام .

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر فى قصيدته (ادفعوها):

" اجمعوها...

وحدة جبارة, تحمى العروبة

فى الليالى الحالكات

ضد أطماع البغاة

جرحها الهتان

طهر الأدران

اجمعوها...

يا عرب!

من لهب!

ترجف الأحلاف منها!

تأمر الدنيا و تنهى!.." (زكرياء, 2007, ص221).

يرى الشاعر فى الأبيات السابقة أن قوة العرب فى وحدتهم, وأن تلك الوحدة كفيلة لجعل العرب شوكة فى فم المحتل تؤرقه وتؤلمه , وأنها الدرع الواقى الذى يحمى بلاد العروبة من أطماع محتليهم, وأن العدو يخشى تلك الوحدة ويرهبها, فالشاعر يصور وحدة العرب باللهب الحارق الذى ترتعد منه فرائص العدو.

وكذلك إشارة الشاعر فى قصيدته (فلا عز حتى تستقل الجزائر !) إلى ضرورة التطلع للوحدة العربية فيقول:

" ويا عربيًا.. فى بلاد شقيقة عروبتنا من يستطيع لها نكرا..؟؟

إلى قوله:

فلا عز, حتى تستقل جزائر.. ولامجد, حتى نصنع الوحدة الكبرى"(زكرياء, 2007, ص264).

يؤكد الشاعر فى البيتين السابقين على وحدة أبناء العروبة أجمعين, فجميع العرب أخوة أشقاء, وهذا أمر واضح كالشمس لا يستطيع أى من كان إنكاره, وهو يرى أن الوحدة هى الطريق الوحيد لتحقيق المجد.

والشاعر فى قصيدته (رسالة الشعر فى الدنيا المقدسة) يدعو العرب إلى مساندة الجزائر فى محنتها فيقول:

" ذروا العواطف .. فالرشاش يجهلها و(سجدة السهو) لا تحيى ضحايانا
وصالح الدعوات .. النار تنكرها ما لم تقدم لها, الأعمال برهانا
وليس تجدى قرارات على ورق إن لم يكن الفعل إيضاحًا وتبيانا
متى تلح من ذوى القربى (مقاطعة) يسعد بها ثمن (الفستان) جرحانا

إلى قوله:

عز العروبة فى أعطاف ثورتنا إن تسندوا حربنا, ترفع لكم شانا "(زكرياء, 2007, ص249,248).

يخاطب الشاعر هؤلاء الذين يتعاطفون مع الثورة الجزائرية بالتوجع والتألم و الدعاء الذى لا يثمن ولا يغنى من جوع, ويرى عدم جدوى كل هذا إن لم تكن الأفعال خير شاهد على ما فى النفوس, ويدعو إلى تفعيل قرارات جامعة الدول العربية مثل القرار الذى اتخذته الجامعة العربية بناء على اقتراح بعض الدول بمقاطعة المنتجات الفرنسية (زكرياء, 2007, ص248), فتلك المقاطعة ستشكل فارقًا كبيرًا, فلو اتفق كل العرب وتوحدوا على قرار المقاطعة لأُنهك اقتصاد فرنسا, و تكبد خسائر فادحة كما لكان هذا المال عونًا لأخوتنا فى الجزائر.

ونستنتج من الأبيات السابقة أن العرب لو اتحدوا لاستطاعوا أن يشكلوا ورقة ضغط على فرنسا تجبرها على تغيير سياستها مع الجزائريين.

ومن ذلك أيضًا قول الشاعر فى قصيدته (فلسطين على الصليب) والتى قالها بمناسبة تقسيم فلسطين, ويتحدث فيها عن أثر الفرقة بين أبناء العرب, وكيف تسببت فى ضياع فلسطين فيقول مخاطبًا فلسطين:

"فلسطين... والعرب فى سكرة قد أنحدروا بك للهاوية !

رماك الزمان, بكل لئيم زنيم من الفئة الباغية" (زكرياء, 2007, ص280).

فالعدو قد استفرد بفلسطين فى غفلة من العرب, وقد كُتب عليها أن تكون مرتعًا للمحتلين الباغين .

ثم ترد عليه فلسطين الشاعر فتقول:

" وفى سكرة ضيعوا عزتى ولم يغن عنى سلطانيه

فلا أنا حققتها بيدى ولا سلح العرب أبنائيه

وزودنى العرب بالصلوات وبالشعر والخطب النارية

وماذا عساه يفيد الكلام وما سوف تصنعه القافية

فلا الدمع, يدفع خطبي الرهيب ولا دعوات ورهبانيه

وماذا عساها ترد الصلاة إذا أسكت العرب, رشاشيه "(زكرياء, 2007, ص283).

ويوضح الشاعر على لسان فلسطين, الذى يجعل منها إنسانًا يشكو, ويتألم كيف ضيَّع العرب فلسطين بأيديهم عندما لم يسلحوا أبناءها, وكيف اكتفوا بالدعوات والأشعار والخطب الرنانة التى لاتسمن ولا تغنى من جوع, فماذا تجدى هذه الدعوات أمام مستعمر باغ لا يفهم إلا لغة القوة, ولا يردعه إلا صوت السلاح, فالصلاة والدعاء دون استخدام القوة هى نوع من أنواع الاستسلام والتسليم, وفى ذلك دعوة ضمنية إلى التوحد وتقديم الدعم بالأفعال لا بالأقوال وحدها.

وقد دعا الشاعر إلى وحدة البلاد العربية بشكل عام, ووحدة المغرب العربي بشكل خاص فنراه يقول فى قصيدته (هنيئًا بنى أمى) الذى يقدم فيها التهنئة للشعب المغربي فى الذكرى السادسة لإعلان استقلاله:

"وفى المغرب الجبار ناشدت وحدة سبقت بها - فى فجر عمري- أقرانى

وأحببت أوطانى رضيعًا ولم أزل أغنى مع الدنيا بأمجاد أوطانى

وهمت بأبناء العروبة, يافعًا أرى كل أبناء العروبة إخوانى" (زكرياء, 2007, ص266,265).

يتضح من الأبيات السابقة أن الشاعر قد دعا إلى الوحدة بين بلاد المغرب العربي, وأنه سبق فى هذه الدعوة الكثيرين فقد تغنى مفدى زكريا بوحدة المغرب العربى منذ كان فى العاشرة من عمره (زكرياء, 2007, ص265), وقد عبر عن حبه لبلاد العروبة كلها, و استخدم فى ذلك لفظة (أوطانى) التى تعبر عن الحب الشديد والانتماء الذين يشعر بهما الشاعر تجاه كل البلدان العربية, فهو يرى أن جميع العرب أخوة له, وهو فى ذلك يؤكد على حالة الترابط والدعم التى يجب أن تسود بين جميع العرب .

ويدعوا الشاعر الجزائريين فى قصيدته (من يشترى الخلد؟ فإن الله بائعه!) إلى الوحدة فيقول:

" وطهروا النفس بالأخلاق, واتحدوا ففى اتحادكم للخصم, تبديد"(زكرياء, 2007, ص230).

يطلب الشاعر من أبناء الجزائر أن يتحلوا بالأخلاق الفاضلة, وأن يتحدوا فباتحادهم يعود عدوهم مدحورًا يجر ذيول الهزيمة.

ويوضح الشاعر فى قصيدته (شاكر الفضل ليس يعدم شكرًا) كيف حاول البعض التفريق بين أبناء الجزائر, وكيف خدمت تلك الفكرة المستعمر فيقول :

"ورمى الشامتون فيها بنيها بالتعادى والحقد لؤمًا وغدرا

فغدى مسلم يقاطع فيها مسلما والدخيل يختال فخرا

إن كفًا غدت تفرق ما قد جمع الله فى الجزائر! بترا"(زكرياء, 2007, ص240,239).

يدعو الشاعر فى الأبيات السابقة على تلك الأيادى التى تفرق بالقطع والهلاك, وفى الأبيات السابقة دعوة ضمنية إلى الوحدة ونبذ للتفرق والانقسام بين أبناء الشعب.

إذا يمكننا القول إن الشاعر قد دعا إلى الوحدة على عدة مستويات هى:

- الوحدة بين أبناء الوطن العربي كله.
- وحدة بلاد المغرب العربى وهى تونس والجزائر والمغرب.
- الوحدة بين أبناء الشعب الجزائرى.

فهو يرى أن الوحدة هى طريق النصر, وأن العدو اتبع سياسة استعمارية خبيثة, وهى سياسة فرق تسد, فلو توحد العرب لما استطاع العدو هزيمتهم, ولفتحوا عليه أبوابًا من جحيم.

خامسًا: الدعوة إلى العلم

يرى الشاعر أن الاهتمام بالتعليم ضرورة لاغنى عنها فهو طريق التنوير والتحرر فيقول فى قصيدته (من يشترى الخلد؟ فإن الله بائعه) مخاطبًا جمعية علماء المسلمين فى الجزائر :

" فابنوا المدارس فى عرض البلاد فما غير المدارس للتحرير تمهيد

والاقتصاد, فما- والله- دونها تنال, فى هذه الدنيا المقاصيد" (زكرياء, 2007, ص229).

يدعو الشاعر فى البيتين السابقين إلى الاهتمام ببناء المدارس فى مختلف أنحاء البلاد, فالقضاء على الجهل هو أول خطوات التحرير, وقد استخدم الشاعر أسلوب (فما غير) وهو مكون من أداة النفى (ما) و أداة الاستثناء (غير) ليدل على التخصيص, ويدعو للاهتمام بدراسة الاقتصاد حتى تستطيع البلاد النهوض والتقدم.

ويدعو الشاعر فى قصيدته (اذكروا الثورة فى أقسامكم) التى ألقاها فى مهرجان شباب الجزائر إلى طلب العلم, ويرى فيه وسيلة للسيادة وتحقيق المجد فيقول:

" واطلبوا العلم تعيشوا سادة واصنعوا بالفكر مجد البلد"(زكرياء, 2007, ص169).

فالعلم ينير الفكر ويمحى الجهل, وبه ترتفع مكانة الإنسان ويملك قراره, وبه يُصنع مجد البلاد .

وفى النهاية أود الإشارة إلى أن معظم الأفكار التى عبر عنها الشاعر يمكن أن نجدها فى قول الشاعر الفلسطينى إبراهيم طوقان فى قصيدته (موطنى):

"موطنى الحسام واليراع لا الكلام والنزاع رمزنا"(طوقان, د.ت, ص293)

ونرى تشابهًا كبيرا بين هذا البيت وبين المضمون العام للأفكار التى وضحها الشاعر مفدى زكرياء فى ديوانه, فالشاعر إبراهيم طوقان يُجمل لنا فى هذا البيت الظروف التى تتخلص بها الأوطان من سطوة المحتل, ويدعو إلى حشد الأسلحة ذات الفاعلية العالية, واستخدامها فى مواجهة العدو, وهى:

- الحسام ويقصد به السيف والقتال, وهو ما وضحه الشاعر فى حديثه عن فلسفة أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة, وأن الوطن لن يسترد ولن يعود إلى أصحابه إلا بالسلاح لا بالسلم.
- اليراع وهو القصب (ابن منظور, 2007, 4955), والشاعر يقصد به هنا القلم فقد كان القصب قديمًا يستخدم فى الكتابة, أى أن الشاعر يدعو إلى اتخاذ العلم مسلكًا وسلاحًا, فالعلم هو طريق تقدم الأمم, وقد حاول المحتلون على مر العصور إشاعة الجهل فى نفوس محتليهم حتى لا يطالبوا بحقوقهم, أو يدافعوا عنها, أو يسمع لهم صوت فى الخارج.

وإن كان الشاعر قد دعا إلى استخدام السلاح والعلم فى محاربة المحتل فإنه قد رفض الكلام والنزاع, و رأى عدم جدواهما حيث إن:

- الكلام لايغنى ولا يسمن من جوع, وهو كالزبد يذهب هباء, ولغة الكلام لن تجدى لأن العدو لا يفهم إلا لغة الأفعال, كما أنه عدو غادر لايفهم لغة السياسة ولا يؤمن بها, وحتى لو حاولت الشعوب اللجوء للأمم المتحدة ومحاولة الوصول إلى حلول سلمية فلن يجد ذلك لأن الأمم المتحدة حليفة للمحتل تتنكر لكل مبادئها إزاء الشعوب.
- كما يرفض الشاعر فكرة النزاع والفرقة بين الشعوب فقد اتبع العدو دومًا سياسة خبيثة ألا وهى فرق تسد, وهو لا يستطيع هزيمة الجزائريين إلا ببث الفرقة بينهم.

الخاتمة

مما سبق نستنتج ما يأتى:

1. بدأ الشاعر التعبئة الثورية منذ بداية ديوانه حيث نصح ابنه بالالتحاق بالثوار, وهو فى ذلك يرسل رسالة ضمنية لكل أب جزائرى أن يحفز أبنائه على الالتحاق بركب الثورة, و يبين لنا الطريق الذى سيسير عليه فى قصائد الديوان .
2. يُعلى الشاعر فى قصائده من شأن الثورة الجزائرية ويمجدها, ويزكى تضحيات أبنائها, ويحببهم فى الموت, ويبين أن الشهيد لا يموت, وإنما هو عند الله حى يرزق.
3. تعبر القصائد عن رفض وجود المحتل, وعدم جدوى الحلول السلمية, ومن ثم كانت الثورة المسلحة الخيار الوحيد من أجل تحقيق الحرية.
4. لجأ الشعب الجزائرى, وهو شعب مسالم إلى استخدام القوة بعد استنفاذ كل الطرق الممكنة و وقوف أمريكا والمجتمع الدولى مع فرنسا, فقد اهتدى الجزائريون لفكرة أن ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة, وأن صوت البارود أقوى و أشد على النفس من أى صوت آخر, وأن المحتل إذا سمع حديث البارود تدبر وعاد إلى رشده .
5. لم تكن ثورة الجزائريين لبغى أو لظلم, وإنما كانت ضرورة لاسترداد الحقوق, وعودة الحق إلى أهله, فى ظل محتل غاشم احتل البلاد, ونهب ثرواتها, واستعبد أهلها.
6. يبين الشاعر فى قصائده أن الشعب إذا صدقت عزيمته ورغبته فى الحرية والخلاص جاء القدر ليكون مواليًا لتلك الإرادة, وتاريخ الشعوب خير شاهد على ذلك.
7. دعا الشاعر إلى الوحدة على أكثر من مستوى, فقد دعا إلى الوحدة بين أبناء الوطن العربى جميعًا, كذلك دعا إلى الوحدة بين بلاد المغرب العربى تونس والجزائر والمغرب, وحث أبناء أبناء الجزائر على الاتحاد, مبينًا أثر ذلك على الشعوب, فالوحدة هى بداية النهاية للمحتل, وقد نبذ الشاعر التفرق والانقسام, ودعا بالهلاك على من ينشر روح الفرقة والانقسام بين الشعب.
8. وضح الشاعر أهمية العلم ودوره فى رفعة البلاد, وحث أبناء الجزائر على تلقى العلم, فبه تتقدم الأمم.
9. استخدم الشاعر ألفاظًا تحمل فى دلالتها من القوة والحماسة ما يتفق مع الطابع الثورى الذى تتسم به القصائد ومن ذلك الرشاش, المدافع, ثار, أرغمنا, استعدوا...إلخ

المراجع:

أولًا المصادر:

1- زكرياء, مفدى, *تصدير عبد العزيز بوتفليقه, جمع مصطفى حمودة, 2003, أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى*, ط1, الجزائر, مؤسسة مفدى زكرياء.
2- زكرياء, مفدى, 2007, *تحت ظلال الزيتون*, د.ط, الرغاية, الجزائر, المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
3- زكرياء, مفدى, 2007, *اللهب المقدس*, د.ط, الرغاية, الجزائر, المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

ثانيًا المراجع (كتب ومجلات):

أ- الكتب

1. إحدادان, زهير, 2007, *المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية*, ط1, القبة, الجزائر, مؤسسة إحدادان للنشر والتوزيع.
2. بيطام, مصطفى, 1998, *الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962, دراسة موضوعية فنية*, د.ط, الجزائر, دار المطبوعات الجامعية.
3. خرفي, صالح, د.ت , *الشعر الجزائري*, د.ط, الجزائر, الجزائر, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
4. سعدي, عثمان, *الثورة الجزائرية في الشعر العراقي*, د.ط, بغداد, العراق, المكتبة الوطنية.
5. الشابي, أبو القاسم, 2005, *ديوان أبو القاسم الشابي*, ط4, بيروت, لبنان, دار الكتب العلمية.
6. شرف, عبد العزيز,1991 , *المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر*, ط1, بيروت, لبنان, دار الجيل.
7. طوقان, إبراهيم, د.ت, *الأعمال الشعرية الكاملة*, د.ط, القاهرة, مصر, مؤسسة هنداوي.
8. العروسي, الطيب, 2009, أعلام من الأدب الجزائري الحديث, د.ط, الجزائر, الجزائر, دار الحكمة للنشر.
9. الفيروزآبادي, مجد الدين, 2008, *القاموس المحيط*, د.ط, القاهرة, دار الحديث
10. مؤيد, صلاح, د.ت, *الثورة في الأدب الجزائري*, د.ط, الجزائر, الجزائر, مكتبة الشركة الجزائرية.
11. منظور, 2007, لسان العرب, د.ط, القاهرة, مصر, دار المعارف.
12.
13. الهادي, محمد, د.ت, *أطلس الجزائر والعالم*, د.ط, الجزائر, دار الهدى.

14. هيئة المعجم فى مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى, 2008, *معجم البابطين لشعراء العربية فى القرنين التاسع عشر والعشرين*, ط1, مج 20, الكويت, الكويت, مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى.
15. الورتلانى,الفضيل, 2009, *الجزائر الثائرة*, د.ط, الجزائر, دار الهدى.

ب- رسائل الماجستير والدكتوراة

16. دحمانى, حمة, (2005- 2006), *ظاهرة الغربة فى شعر مفدى زكرياء*, رسالة ماجستير, جامعة منتورى (قسنطينة), الجزائر.
17. شاكور, لمياء, (2018,2019), *شهرا نوفمبر وجويلية فى الشعر الجزائرى*, رسالة ماجستير, كلية الآداب واللغات, الجزائر.

ج- المجلات

18. جغدم, الحاج, 2019, *صورة المقاومة فى شعر مفدى زكرياء*, *مجلة الكلم*, ع9, 34.
19. الشيخ, سليمان, 2010, *كلمة الدكتور سليمان الشيخ نجل الراحل الشاعر مفدى زكرياء*, دار المنظومة, ص25.
20. طيبى, أمينة, 2017, *أخلاق الشباب فى شعر مفدى زكريا*, مجلة جسور المعرفة, ع 10, ص52.
21. عيسى و موسى, محمد, 2007, *حصاد فى الذكرى 30 لوفاة رجل البلاغة والأدب مفدى زكرياء 1977- 2007*, دار المنظومة, مج 3, ع 6, 252.
22. العايب, يوسف, 2014, *دلالة العنوان ووظيفته فى ديوان اللهب المقدس لمفدى زكريا*, دار المنظومة, ع6, ص81,80.

The Revolutionary Issues in The Divan of (The Holy Flame) by Moufdi Zakaria, A Content Study

Eman Ahmed Othman Aburayah
Master Degree –Arabic department
The Faculty of Al-Alsun -Ain Shams University - Egypt
emanahmed789.ea@gmail.com

Seham Ali Soudi
A teacher of linguistics
Arabic Department
Faculty of Faculty of Al-Alsun
Ain Shams University - Egypt

Prof: Atef Elsayed Bahajat
A Professor of Modern Literary Criticism
Arabic Department
Faculty of Faculty of Al-Alsun
Ain Shams University - Egypt
aa_bahajat@**hotmail.com**

Abstract

Moufdi Zakaria discussed in (The Holy Flame) a number of important issues such as: the call to join the revolution, the sacrifices of Algerians and their willingly self-sacrifice for their homeland. he also asked them for using military power against the occupier, who does not understand the language of speech and only hears the sound of machine guns and cannons. he showed that the human will can change fates, and peoples, if their resolve is sincere, were able to release themselves from the domination of their tormentors. Moreover, he believes that the unity is a strong and effective weapon in deterring the occupier and divide is weakness and defeat. he calls for Arabs unity, in general and Algerians in particular, In addition he encourages the interest of science cause ignorance elimination is the first step to liberation.

Keywords: revolution- Algeria- ideas- divan- Zakaria.